(٩٦) [الرفيق]

لم يرد هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم، وإنما ورد في السُّنَّة النبوية وذلك فيما ورد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: **(يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)**، قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: **(قلت وعليكم)** »[١]، وقد ورد لهذا الحديث عدة روايات أيضًا منها قوله ﷺ: **(إن الله رفيق يحب أهل الرفق وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)**[٢].

المعنى اللغوي:

قال في اللسان: «الرفق ضد العنف، رفَقَ بالأمر وله وعليه يرفُقُ رفقًا، ورفُق يرفق، ورفِق: لَطفَ ، وكذلك ترفق به...

قال الليث: الرفق لين الجانب ولطافة الفعل وصاحبه رفيق... ويقال للمتطبب: مترفق ورفيق وكره أن يقال طبيب»[٣].

المعنى في حق الله تعالى:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في نونيته:

«وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل يعطيهم بالرفق فوق أمان»[٤]

---

(١) البخاري (٦٠٢٤).

(٢) مسند أحمد ٤/ ٨٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٧١.

(٣) لسان العرب ٣/ ١٦٩٤ - ١٦٩٥.

(٤) نونية ابن القيم ٢/ ٢٢٩ بشرح العيسى.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: «ومن أسمائه **(الرفيق)** في أفعاله وشرعه، وهذا قد أخذ من قوله ﷺ في الحديث الصحيح: **(إن الله رفيق يحب أهل الرفق وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)**[1].

فالله تعالى رفيق في أفعاله، خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئًا فشيئًا بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة»[2].

وقال أيضًا: «ومن تدبر المخلوقات وتدبر الشرائع كيف يأتي بها شيئًا بعد شيء شاهد من ذلك العجب العجيب، فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار - اتباعًا لسنن الله في الكون، واتباعًا لنبيه ﷺ؛ فإنه كان هذا هديه وطريقه - تتيسر له الأمور، وبالأخص الذي يحتاج إلى أمر الناس ونهيهم وإرشادهم، فإنه مضطر إلى الرفق واللين، وكذلك من آذاه الخلق بالأقوال البشعة وصان لسانه عن مشاتمتهم، ودافع عن نفسه برفق ولين، اندفع عنه من أذاهم ما لا يندفع بمقابلتهم بمثل مقالهم وفعالهم، ومع ذلك فقد كسب الراحة، والطمأنينة والرزانة والحلم.

ومن تأمل في خلقه وأمره وجد ما احتوى عليه شرعه من الرفق وشرع الأحكام شيئًا بعد شيء، وجريانها على وجه السعة واليسر ومناسبة العباد، وما في خلقه من الحكمة؛ إذ خلق الخلق أطوارًا، ونقلهم من حالة إلى أخرى بحكم وأسرار لا تحيط بها العقول.

---

(١) سبق تخريجه ص٧٠٨ .

(٢) الحق الواضح المبين ص ٦٣ .

والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقًا في أموره متأنيًا، ومع ذلك لا يفوت الفرص إذا سنحت، ولا يهملها إذا عرضت»[1].

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الرفيق):

أولاً: محبته سبحانه وتعظيمه وإجلاله وحمده، حيث ظهرت آثار لطفه ورفقه بعباده في خلقه وشرعه وقدرته ورأفته ورحمته، مع غناه سبحانه عن خلقه[2].

ومن ذلك إمهاله سبحانه للعصاة من عباده ليتوبوا، ولو شاء لعاجلهم بالعقوبة لكنه رفق بهم وتأنى فلله الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

ثانيًا: شكره سبحانه وحمده والثناء عليه على هدايته إلى هذا الدين الكامل الحكيم الميسر الذي كله لطف ورفق ومصلحة للعباد.

ومن آثار رفقه سبحانه بعباده ما شرع لهم من الرخص الشرعية التي ترفع عنهم الحرج.

والعبد إذا ترفه بالرخص الشرعية، فإنما يتعبد لله تعالى باسمه سبحانه (الرفيق) كما وضح ذلك الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - بقوله: «فرق بين أن يكون التفاته إليها ترفهًا وراحة وأن يكون متابعة وموافقة، ومع هذا فالالتفات إليها ترفهًا وراحة لا يُنافي الصدق، فإن هذا هو

---

(١) توضيح الكافية الشافية ص ١٢٣.

(٢) انظر آثار رحمته سبحانه في الكلام على اسمه سبحانه (الرحمن، الرحيم) وكذلك انظر إلى آثار لطفه في اسمه سبحانه اللطيف.

المقصود منها، وفيه شهود نعمة الله على العبد، وتعبد باسمه: (البرِّ)؛ (اللطيف)؛ (المُحسن)؛ (الرَّفيق)، فإنه (رفيقٌ) يحب الرفق»[١].

ثالثًا: التخلق بصفة الرفق والتأني في الأمور مع النفس ومع الخلق بل حتى مع العدو كما جاء في حديث عائشة- رضي الله عنها - مع اليهود، وقد جاءت نصوص عديدة تحث على الرفق وتثني على أهله، من ذلك ما ورد في أول الكلام عن هذا الاسم الكريم، ومن ذلك قوله ﷺ: **(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»**[٢]**، وقوله** ﷺ: **(من يحرم الرفق يحرم الخير)**[٣].

وقد أثنى الرسول ﷺ على أشج عبد القيس بقوله: **(إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة)**[٤].

وأولى الناس بالحلم والرفق واللين: الأهل وذوو الأرحام، قال ﷺ: **(إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق)**[٥].

والرفق لا يعني التفريط والكسل وتفويت فرص الخير، بل الرفق الممدوح وسط بين العجلة والطيش، وبين الكسل وتفويت الفرص وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «والفرق بين المبادرة

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٨٢.

(٢) مسلم في البر (٢٥٩٤).

(٣) مسلم (٢٥٩٤).

(٤) مسلم في الإيمان (١٨).

(٥) رواه أحمد ٦/ ٧١، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣).

والعجلة: أن المبادرة انتهاز الفرص في وقتها ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها، فهو لا يطلب الأمور في إدبارها ولا قبل وقتها، بل إذا حضر وقتها بادر إليها، ووثب عليها وثوب الأسد على فريسته، فهو بمنزلة من يبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها.

والعجلة طلب أخذ الشيء قبل وقته؛ فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل أوان إدراكها، فالمبادرة وسط بين خُلقين مذمومين **أحدهما**: التفريط والإضاعة، **والثاني**: الاستعجال قبل الوقت. ولهذا كانت العجلة من الشيطان؛ فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعًا من الشرور وتمنعه من الخير، وهي قرين الندامة؛ فقلَّ من استعجل إلا ندم، كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة»[1].

۞۞۞

(١) الروح ص/ ٥٤٦، ٥٤٧.